الخطبة الأربعون

الرحمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال ابن منظور: الرحمة هي الرقة والتعطف، الرحمة هي المغفرة وهي الرزق والغيث، والرحمة في بني آدم هي رقة القلب وعطفه، ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه (لسان العرب لابن منظور).

وأما في الاصطلاح: فالرحمة: صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها.

فأرحم الناس بك من أوصل إليك مصالحك والخير ودفع المضار عنك والشر، ولو شق ذلك عليك، فمن رحمة الأب بولده أن يجبره ويكرهه على التأدب، وعلى العلم وعلى العمل، ويشق عليه في ذلك بالحرمان والعقوبة ويمنعه شهواته التي تَعُودُ عليه (أي الولد) بالضرر، وإذا أهمل الوالد تربية ابنه فهذا من قلة رحمته به.

ولهذا كان من رحمة رب العالمين تسليط أنواع البلاء على العبد؛ لأن هذا من مصلحته، ولإرجاعه إلى الجادة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 32/ 21].

ومن رحمته سبحانه بعباده أن أمرهم وأوجب عليهم الأوامر والنواهي رحمة بهم وحماية لهم ولتحقيق مصالحهم وكف الضرر والسوء عنهم، إشارات التحذير التي تضعها الحكومة والمؤسسات، أهي لتقييد الحريات أم هي لحماية السكان؟

بل هي لحماية السكان ولمصالحهم، فعندما ترى لافتة تقول: لا تقترب، توتر عالٍ، خطر موت...، فهذا لمصلحتك، وعندما تقترب من مكان إشعاع يكون هناك تحذير لحمايتك، وليس للحد من حريتك!

وهكذا أوامر الله سبحانه، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: 5/ 3]، فهي لفائدتك ومنع الأضرار عنك.

والرحمة صفة الرحمن، صفة لله تعالى، قال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 6/ 12]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 6/ 54]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: 6/ 133].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «جعل الله الرحمة في مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» البخاري (6000) - مسلم - أحمد - ت - جه - صحيح الجامع (2168).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط» مسلم - جه.

- الرحمن، اسم من أسمائه الحسنى، ذكر في القرآن (57) مرة.

- الرحيم، اسم من أسمائه الحسنى، ذكر في القرآن (119) مرة.

- الرحمن الرحيم، اسمان مشتقان من الرحمة، وهما من أبنية المبالغة، والرحمن أبلغ من الرحيم، والرحمن خاص بالله تعالى ولا يسمى به غيره ولا يوصف، والرحيم يوصف به غير الله، كرجل رحيم.

وأخرج أبو حاتم عن الضحاك قال: (الرحمن لجميع الخلق، والرحيم خاص بالمؤمنين) وقال ابن جرير: ودليلهم قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 20/ 5] ليعلم خلقه برحمته. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 33/ 43].

- الرحمن الرحيم: وردت في القرآن الكريم ست مرات.

- الرحمن: وردت في القرآن منفردة (51) مرة.

- الرحيم: وردت في القرآن الكريم منفردة في (3) مواضع.

- التواب الرحيم: وردت في القرآن الكريم تسع مرات.

- الرؤوف الرحيم: وردت في القرآن الكريم تسع مرات.

- الغفور الرحيم: وردت في القرآن الكريم (72) مرة.

- العزيز الرحيم: وردت في القرآن الكريم (13) مرة.

- البر الرحيم: وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، الطور، آية (28)، البَر: المحسن إلى خلقه، يضاعف الثواب، يتجاوز عن المعصية.

- سعة رحمة الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 156]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: 40/ 7].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «وأَخَّرَ تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة» مسلم - جه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 56].

- سبقت رحمة الله غضبه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق، وكتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي» مسلم (2751).

- علاقة الرحم بالرحمن: الرحم هي القرابة وهي شجنه، وقد أمر الله بصلة الرحم، وحذر من قطعها، ووعد بالعطاء الجزيل على وصلها، وبالعقوبة على من قطعها.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 4/ 1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذلك لك» قال أبو هريرة رضي الله عنه: قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: 47/ 22]، البخاري - مسلم - أحمد.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» مسلم (2555) أحمد.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» البخاري، أبو داوود، الترمذي، أحمد.

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من

سره أن يبسط له في رزقه، أو أن ينسأ له في أثره فليصل رحمه» البخاري - مسلم - د - حم.

- محمد ﷺ نبي الرحمة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 9/ 128].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنا أحمد، والْمُقَفَّى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة» مسلم (2355) - ت - جه - حم - صحيح الجامع (1486).

وعن عبد الرحمن بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نزل رسول الله ﷺ منزلاً، فانطلق إنسان إلى غيضة فأخرج منها بيض حمَّر، فجاءت الحمَّرة ترف على رأس رسول الله ﷺ ورؤوس أصحابه فقال ﷺ: «أيكم فجع هذه ببيضها؟ فقال رجل من القوم: أنا أصبت لها بيضاً، قال رسول الله: اردده» مسند الإمام أحمد، صحيح الأدب المفرد (295).

ونهى رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب صبراً - صحيح الجامع (6716).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال ﷺ: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة» مسلم 2599 - أبو داود.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم» صحيح الأدب المفرد (293)، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رحِمَ ولو ذبيحة، رحمه الله يوم القيامة» صحيح الأدب المفرد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل ومعه صبي، فجعل الرجل يضم الصبي إليه، فقال النبي ﷺ: أترحَمُهُ؟ قال الرجل: نعم، قال ﷺ: «فالله أرحم بك منه به، وهو أرحم الراحمين» صحيح الإسناد - الأدب المفرد 290.

- حاجة الناس والأنبياء إلى رحمة الله سبحانه:

1- آدم وحواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 23].

2- نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: 11/ 47].

3- موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 155].

4- أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 21/ 83].

5- سليمان عليه السلام: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 27/ 19].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لن ينجي أحداً منكم عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا» البخاري (6463) - مسلم - الدارمي - أحمد.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت» أحمد - د - صحيح الجامع (3382).

وجاء في الظلال في تفسير الآية (2) من سورة فاطر، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 35/ 2].

قال الشيخ رحمه الله بتصرف:

1- انقطاع كل قوة في الأرض وفي السماء وربطك بقوة الله سبحانه وتعالى.

2- اليأس من كل رحمة إلا رحمة الله سبحانه.

3- سد كل أبواب السموات والأرض وفتح باب الله سبحانه وتعالى.

4- اليأس من كل حول وقوة ومعونة وعدم الاعتماد أو الاتكال على أحد في السموات والأرض. والرجاء فقط في حول وقوة ومعونة الله سبحانه وتعالى. ما يفتحه الله لا يمكن لأحد أن يوصده، وما يغلقه الله لا يمكن لأحد أن يفتحه. سبحانه وتعالى كما في الحديث: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت» سبحانه وتعالى. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: 6/ 17]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 39/ 38].

ويقول الشيخ رحمه الله: وأي نعمة خالية من رحمة الله فهي نقمة، وما من محنة تحفها رحمة الله حتى تكون هي بذاتها نعمة، أيسر الأمور من غير رحمة تصبح من أعسر الأمور، وأعسر الأمور مع الرحمة تصبح من أيسر الأمور.

الرزق مع الرحمة متاع طيب، ورخاء، والرزق بدون رحمة تعب ونصب وهلع ومثار حسد وبغض وتنافس وقد يكون معه البخل والمرض فلا خوف مع الله، وكل ما في الدنيا من هموم ومشاكل ومتاعب مع رحمة الله تعالى تتغير ماهياتها وحالاتها، فلا الهموم هموم ولا المشاكل مشاكل، والعكس بالعكس كل متع الحياة وكل شهواتها وكل مسراتها بدون رحمة الله تعالى أيضاً تتغير فتصبح كدًّا وعذاباً.

- مظاهر رحمة الله تعالى:

1- العصمة من السوء: قال تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 33/ 17].

2- عدم الاختلاف هو رحمة من الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 11/ 118- 119].

3- ترك النفس الأمر بالسوء نتيجة رحمة الله لها: قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ [يوسف: 12/ 53].

4- الفوز والنصر في الآخرة: قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الدخان: 44/ 41 - 42].

5- وقاية الله للعبد الصالح وجعله يتقي السيئات: قال تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: 40/ 9].

6- عدم رحمة المجرمين حتى لا يتمادوا في طغيانهم: قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: 23/ 75].

7- الرحمة في صرف العذاب عن المؤمنين: قال تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام: 6/ 16].

8- الرحمة ضد الخسران: قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 23]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 149].

لماذا في الآية: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 23]، طلب المغفرة، سبق طلب الرحمة، وفي الآية (149) سبقت الرحمة المغفرة، الآية (23) هي في آدم وحواء بعد ما أكلا من الشجرة، قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ فهذه معصية ومخالفة ارتكباها فطلبا الصفح عن المعصية وطلبا المغفرة، ثم الرحمة لكي لا يكونا من الخاسرين، لأن انعدام الرحمة هو الخسران.

الآية (149) قوم موسى أشركوا بالله، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: 7/ 148]، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ﴾ [الأعراف: 7/ 149]، فهنا أشركوا بالله، وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ [طه: 20/ 88 - 90]، فهنا هم أشركوا واتخذوا مع الله إلها آخر ولم ينفعهم نصح هارون عليه السلام.

فالإشراك يلزمه توبة وعودة إلى الله تعالى، وحتى يتوب الإنسان ويرجع إلى ربه يلزمه رحمة الله تعالى حتى تتولاه، ألم نقل: إن الرحمة تعصمه من السوء، والرحمة تجعل النفس تترك الأمر والهم بالسوء، والرحمة تقيه السيئات، الرحمة ضد الخسران، فهنا يجب طلب الرحمة لأن الرحمة هداية، والهداية في الرجوع إلى طريق الرحمن وترك الشرك، ثم لما عادوا إلى الإسلام طلبوا المغفرة على ما بدر منهم.

9- أغلى ما يتمناه العبد هو رحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران: 3/ 157]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: 10/ 58]، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: 43/ 32].

10- تبييض الوجوه يوم القيامة نتيجة لرحمة الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: 3/ 107]، فرحمة الله بيّضت وجوههم لقوله ﷺ: «إلا أن يتغمدني الله برحمته» ورحمة الله هي الجنة هم فيها خالدون.

11- النجاة من عذاب الله في الدنيا، والنصر للمؤمنين في الدنيا، وهزيمة الكفار في

الدنيا ، وعقاب الكفار في الدنيا، كله نتيجة الرحمة، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف 7/ 72].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: 11/ 58].

12- القرآن العظيم رحمة وشفاء وهدى، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 17/ 82].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 27/ 76- 77].

13- عدم تعجيل العقوبة في الدنيا لمستحقيها، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: 18/ 58].

14- رحمة الله تشمل أولاد الصالحين، قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: 18/ 82].

15- إرسال الرسل من رحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 21/ 107].

16- المطر وإحياء الأرض والغيث من رحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: 42/ 28].

17- ليلة القدر رحمة من الله على عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الدخان: 44/ 6].

18- رحمة الله بنا تعصمنا من أن نتبع الشيطان، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 4/ 83].

19- رحمة الله بنا تعصمنا من الضلال، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ [النساء: 4/ 113].

20- خلق الجنة من رحمة الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي» البخاري - مسلم - الترمذي - حم.

21- الموت رحمة من الله تعالى: مرت على رسول الله ﷺ جنازة فقال: «مستريح ومستراح منه»، قالوا: يا رسول الله ﷺ ما المستريح وما المستراح منه؟ فقال ﷺ: «العبد المؤمن يستريح من أذى الدنيا ونصبها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» مسلم - أحمد - الموطأ.

- بعض الأسباب التي تُسْتَجْلَبُ بها رحمة الله تعالى:

ولكن قبل البدء بذكر الأسباب يجب أن نعلم نقاطاً مهمة منها: أ - أن الله سبحانه وتعالى يتفضل علينا ابتداءً بإنزال رحمته على من يشاء فهذا فضل منه وكرم، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: 35/ 2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [فصلت: 41/ 50].

ب- إن الله تعالى يتفضل علينا برحمته بقبول أعمالنا، فقبول أعمالنا رحمة منه سبحانه؛ لأننا مهما قمنا بأعمال ففضل الله تعالى وكرمه أكبر بكثير مما نقدم ... وقوله ﷺ: «لن ينجي أحداً منكم عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال ﷺ: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من

الدلجة والقصد القصد تبلغوا» البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، رواه مسلم.

فأولى هذه الأسباب: 1- الإيمان؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الجاثية: 45/ 30].

2- الإخلاص، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: 98/ 5].

3- طاعة الله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: 9/ 71].

4- اتباع الكتاب والسنة، لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 16/ 44]، وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 155]، و(لعل) في القرآن تحل محل: (سوف).

5- تقوى الله عز وجل، وهي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل والرضا بالقليل أو بما قدره الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد: 57/ 28].

6- الاستماع إلى القرآن الكريم وتدبر آياته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 204].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت

عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» مسلم – الترمذي.

7– الاستغفار والتوبة رحمة من الله بنا، لأننا نضعف ونكسل ونعجز ونظلم ونجهل والخطأ من جبلتنا لقوله ﷺ «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» عن أنس – م – ن – حم – ت – هـ – ك.

قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: 27/ 46]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 6/ 54].

8– الصبر، فالصبر على الطاعات، وصبر عن الحرام، وصبر على الامتحان والابتلاء. وقال بعضهم: صبر على المأمور، وصبر على المحظور، وصبر على المقدور. فمن صبر نالته رحمة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 2/ 155 – 157].

9– العفو والرحمة والرأفة بالمؤمنين، فلقد أخرج الترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله».

10– الهجرة والجهاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 2/ 218].

11- الإحسان، وهي أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، مرتبة مراقبة الله في الأقوال والأعمال والنيات، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 56].

12- خشية الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: 67/ 12].

13- اللجوء إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 27/ 62].

14- اقتران العلم بالعمل، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 39/ 9].

15- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 9/ 71].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم